مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٨ م ١١ شهر رمضان سنة ١٣٧٧ هـ

# الأخطل

هو أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب ، وتغلب من ربيعة من العرب العدنانية . وبلاد تغلب بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين بين الخابور والفرات ودجلة ، وتعرف ديارهم بديار ربيعة . وكانت تغلب بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلا القليل بالكوفة ، وكانت النصرانية غالبة عليهم لمجاورتهم للروم . والأخطل لقب غلب عليه لخبث لسانه في صغره ، ومعنى الأخطل السفيه .

وكانت الجزيرة منذ زمن الأخطل معدودة من الشام أو ملحقة بالشام وكان الأخطل يعتبر شامياً ، قال الفرزدق [1] :

فيهن [2] شاركني المُساورُ بعدهم وأخو هوازنَ والشآمي الأخطلُ

كان الأخطل نصرانياً ، قال الشعر وهو غلام ، وهجا كعب بن جعيل

(١) شرح ديوان الفرزدق لعبد الله الصاوي ج ٢ ص ٧٢١ .
(٢) أي في القصائد .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شاعر تغلب ، واتصل بيزيد بن معاوية ومدحه في حياة أبيه ، وكان سبب اتصاله به أن يزيد طلب إلى كعب بن جعيل أن يهجو له الأنصار لأن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري شبب بأخته رملة ، فامتنع كعب تحرجاً لأنه مسلم ، وله على الأخطل فهجاهم الأخطل بقصيدة منها :

ذهبتْ قريشٌ بالسماحة والندى واللؤمُ تحت عمائم الأنصارِ

فدعوا المكارمَ لستمُ من أهلها وخذوا مساحيكم بني النجارِ

ومنذ ذلك الحين اختص ببني أمية يمدح خلفاءهم وأمراءهم ويفد عليهم إلى دمشق ، ويدعو اليهم ويهجو خصومهم . فقربه بنو أمية وآثروه ولا سيما عبد الملك ابن مروان فقد كان للأخطل عليه دالة عظيمة ، ذكروا أنه كان يدخل عليه وقد علق على صدره صليباً ولحيته تنفض خمرا ، ووقعت مهاجاة بينه وبين جرير طال أمرها ولم تنته إلا بموت الأخطل . وظل الأخطل أثيراً عند بني أمية حتى توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة خمس وتسعين وقد نيف على السبعين .

شعره :

الأخطل أحد فحول الشعراء الإسلاميين ومن أشهر الشعراء في العصر الأموي ، يمتاز شعره بالاستواء والصقل والتهذيب من غير تعمل أو تكلف ، وأثر الطبع فيه شديد الظهور ، روي عنه أنه كان ينظم القصيدة تسعين بيتاً فما يزال يعود عليها بالتشذيب والتهذيب حتى يسقط الستين ويبقي على الثلاثين . وقد يمن بالتنقيح والتحكيك حتى يسلخ في نظم القصيدة حولاً كاملاً . روى صاحب الأغاني أن الأخطل قال لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة ( جرير ) أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام ، وقد أقمت في مدحتك :

خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا ( وأزعجتهم نوى في صَرفها غِيَرُ )

سنةً فما بلغت كل ما أردت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأكثر شعره يسير فيه الطبع والتهذيب شرعاً، وقد شبهوا الأخطل بالنابغة الذبياني لصحة شعره، والحقيقة إنه يشبه النابغة من عدة وجوه، فكلاهما يجمع بين الطبع والتثقيف، وكلاهما يجيد المدح والوصف، وحوادث حياتهما متشابهة، فكل منهما اتصل بالملوك وحظي عندهم، وكل منهما أسهم في شؤون قبيلته إلى حدّ بعيد، واتخذ من شعره وسيلة لمصلحتها. ولا مرية في أن الأخطل كان يترسم خطى النابغة ويطبع على غراره في طائفة صالحة من شعره، وقد يعارضه في النسج والوزن والروي، ويسترفده المعنى والتصور والتصوير، من ذلك قصيدته التي أولها [١] :

تغيَّر الرسمُ من سلمى بأحفارِ وأقفرتْ من سليمى دمنةُ الدارِ

فإنه عارض بها قصيدة النابغة التي أولها [٢] :

عوجُوا فحيُّوا لِنُعْمٍ دمنةَ الدارِ ماذا تحيون من نُؤْيٍ وأحجارِ

ففي قصيدة الأخطل كثير من معاني النابغة وألفاظه ولا سيما وصف ثور الوحش.

ومن ذلك قوله يشبه الممدوح بالفرات [٣] :

وما الفراتُ إذا جاشتْ حوالبُهُ في حافتيه وفي أوساطه العُشَرُ
وذعذعته رياح الصيف واضطربتْ فوق الجآجيِّ من آذيِّه غُدُرُ
مستحنفرٌ من جبال الروم يستره منها أكانيف فيها دونه زَوَرُ
يوماً بأجود منه حين تسأله ولا بأجهر منه حين يجتهر

وكرر هذا المعنى في عدد من قصائده فقال [٤] :

وما مزبدٌ يعلو جزائر حامرٍ يشق إليها خيزراناً وغرقدا الخ

(١) ديوان الأخطل ص ١١٢.
(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٩.
(٣) ديوان الأخطل ص ١٠١.
(٤) ديوان الأخطل ص ٩٦.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال [١] :

وما مزبد الأطواد من دون عانةٍ يشق جبال الغور ذو حدَبٍ غَمْرِ الخ

وقال [٢] :

كأنه مزبدٌ ربانُ منتجعٌ يعلو الجزائرَ في حافاته الزَبَدُ الخ

وكل ذلك مأخوذ من قول النابغة [٣] :

فما الفراتُ وإن جاشتْ غواربُهُ ترمي أواذيُّه العِبْرين بالزَبَدِ
يمده كل وادٍ مترعٍ لَجِبٍ فيه رُكامٌ من اليَنْبوت والخَضَدِ
يظل من خوفه الملاَّحُ معتصماً بالخيزرانة بين الأُيْن والنَّجَد
يوماً بأجود منه سيبَ نافلةٍ ولا يحول عطاء اليوم دون غدِ

على أن للفرات في نفس الأخطل أثراً بليغاً لأنه نشأ في سقيه وعاش بالقرب منه .

* * *

كان الأخطل يستلهم شعره من البادية لأنه نشأ في بادية الجزيرة الفراتية ؛ وأثر الحاضرة ضئيل في شعره على كثرة وفوده على الخلفاء بدمشق ، فقد كان يفضّل حياة البداوة على حياة الحضارة قال [٤] :

من العربيات البوادي ولم تكن تلوّحها حُمّى دمشق وموماُ [٥]

لذلك فبادية الجزيرة الفراتية بجبالها وسهولها وأوديتها وأنهارها ـ ولا سيما الفرات ـ وأجوائها وأنوائها ونباتها من شيح وقيصوم وخزامى ووحشها وطيرها

(١) ديوان الأخطل ص ٢١٤ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٧٣ .
(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٣١ .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٢١ .
(٥) الموم : أشد الجدري .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ماثلة في شعر الأخطل، منها يستمد وعليها يعتمد والشواهد على ذلك كثيرة منها قوله[١] :

وبيداء بمحالٍ كأنَّ نعامها ... بأرجائها القُصْوى أباعرُ هُمَّلُ
ترى لامعاتِ الآل فيها كأنها ... رجالٌ تَعَرَّى تارةً وتَسَرْبَلُ
وجَوْزِ فلاةٍ ما يغمِّض ركبها ... ولا عينُ هاديها من الخوف تغفلُ
بكل بعيد الغَوْلِ لا يهتدى له ... بعرفان أعلامٍ وما فيه منهل
ملاعب جنَّانٍ كأنَّ ترابها ... إذا أُطَّردتْ فيه الرياح مفربل

وقد سبق إيراد أمثلة من شعره ذكر فيها الفرات ومثلها قوله[٢] :

إذا غاب عنا غاب عنا فراتنا ... وإن شَهِدَ أجدى فيضه وجَداولُهْ

وقوله[٣] :

وإذا عدلتَ به رجالاً لم تجد ... فيض الفرات كراشح الأوشالِ

* * *

وأثر النصرانية في شعره ضئيل جداً لم يرد ما يشير إليها أو يدل عليها في كل شعره إلا قوله[٤] :

حَلْيٌ يَشُبُّ بياضَ النحر واقِدُهُ ... كما تُصَوَّرُ في الدير التماثيلُ

وقوله[٥] :

إني ورب النصارى عند عيدهمُ ... والمسلمين إذا ما ضمَّها الجُمَعُ[٦]

(١) ديوان الأخطل ص ٦ .
(٢) ديوان الأخطل ص ٦٤ .
(٣) ديوان الأخطل ص ١٦٠ .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٢ .
(٥) ديوان الأخطل ص ٧١ .
(٦) هذا مأخوذ من قول كعب بن جعيل التغلبي وهو مسلم :
إني ورب النصارى في كنائسها ... والمسلمين إذا ما حمّموا الجُمَعا
والقائم البل بالإنجيل يدرسه ... لله تسفح عيناه ، إذا ركعا
انظر مجلة المجمع العلمي العربي م ١٩ ص ١٠٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ورب كل حبيسٍ فوق صومعةٍ يمسي ولا همه الدنيا ولا الطمع

وقوله [١] :

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طوعًا ولستُ بآكلٍ لحمَ الأضاحي
ولستُ بقائمٍ أبدًا أُنادي قبيل الصبح حيَّ على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً وأسجد عند منبلج الصباح

وقوله [٢] :

لما رأونا والصليب طالعا ومَارَ سَرْجِيسَ وَتَمَّا ناقعا

ويظهر أن الأخطل لم يعرف من مزايا النصرانية إلا أنها تبيح الخمر ولا تفرض صوم شهر رمضان ؛ ورد في الأغاني أن عبد الملك بن مروان قال للأخطل يومًا : لِمَ لا تسلم يا أخطل ؟ قال إن أنت أحللتَ لي الخمر ووضعت عني صوم رمضان أسلمت ؛ فقال له عبد الملك : إن أنت أسلمت ثم قصرت في شيء من الإسلام ضربتُ الذي فيه عنقك . وقال له مرةً : ألا تسلم فنفرض لك ألفين في عطائك وتوصَل بعشرة آلاف درهم ؟ قال فكيف بالخمر ؟ قال وما تصنع بها ؟ وإن أولها لمر وإن آخرها لسكر ، قال أما إن قلتَ ذاك فإن بينهما لمنزلة ما ملكك فيها إلا كلعقة من ماء الفرات بالإصبع ؛ فضحك عبد الملك .

ويرى الأستاذ نيكلسون صاحب تاريخ الأدب العربي [٣] أن نصرانية الأخطل لم تكن عن إخلاص وإيمان بل عن أهواء نفسية لأنها تبيح له الخمر ، ويستشهد متهكمًا على تقواه بما رواه صاحب الأغاني قال : كانت امرأة الأخطل حاملاً ـ وكان متمسكًا بدينه ـ فمرَّ به الأسقف يومًا ، فقال لها الحقيه

---

(١) ديوان الأخطل ص ١٥٤ .

(٢) الأغاني الأخطل ص ٣٠٩ .

(٣) A Literary History of the

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فتمسحي به ، فعدتْ فلم تلحق إلا ذنب حماره فتمسحت به ورجعتْ ، فقال لها : هو وذنب حماره سواء .

ويرى الأب لامنس اليسوعي في الفصل الذي كتبه على الأخطل في دائرة المعارف الإسلامية أن هجاء جرير للأخطل أدل على نصرانية الأخطل من شعره نفسه ، وأنه لم يكن نصرانياً مستقيماً لأنه طلق امرأته وتزوج امرأة مطلقة . وفي ذلك يقول [1] :

كلانا على همٍّ يبيت كأنما ... بجنبيه من مسِّ الفراش قروحُ
على زوجها الماضي تنوح وإنني ... على زوجتي الأخرى كذاك أنوح

وعربية الأخطل أظهر كثيراً في شعره من نصرانيته ، فقد كان يحلف باللات والعُزّى وهما صنمان من أصنام العرب في الجاهلية ، ورد في الأغاني ج ٧ ص ١٧٣ « أخبر شيخ من قريش قال : رأيت الأخطل خارجاً من عند عبد الملك ، فلما انحدر دنوتُ منه فقلت : يا أبا مالك من أشعر العرب ؟ قال هذان الكلبان المتعاقران من بني تميم ( الفرزدق وجرير ) فقلت فأين أنت منهما ؟ قال : أنا واللات أشعر منهما » وورد أيضاً أن « عاصم بن شبل الحرمي سأل الأخطل عن هذا فذكر نحوه وقال : واللات والعزى » .

ويمدح الخليفة الأموي بحروبه للروم وانتصاره عليهم وإثخانه فيهم وهم نصارى ، من ذلك قوله : ( ديوان الأخطل ص ١٩ ) :

إليك أمير المؤمنين رحلتها ... على الطائر الميمون والمنزل الرحبِ
الى مؤمنٍ تجلو صفيحةُ وجهه ... بلابلَ تغشى من همومٍ ومن كرب
وفي كل عامٍ منك للروم غزوةٌ ... بعيدة آثار السنابك والسَّرْب

(١) ديوان الأخطل ص ٣٣٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقوله : ( ديوان الأخطل ص ٢٠٤ ) :

قتلتَ الرومَ حتى شذَّ منها عصائبُ ما تُحَرِّزُها القُصورُ

وقوله : ( ديوان الأخطل ص ٢١٨ ) :

وإنْ أتعرض للوليد فإنه نمته إلى خير الفروع مضاربُهْ
وما بلغتْ خيلُ امرئٍ كان قبله بحيث انتهت آثاره ومحاربه
وتضحي جبال الروم غبراً فجاجُها بما أشعلتْ غاراته ومقانبه
من الغزو حتى انضم كل ثميلةٍ وحتى انطوت من طول قَوْدٍ جنائبه

وللإسلام أثر في شعر الأخطل ، فقد كان يحلف بالكعبة والحرم وزمزم والحج ومناسكه ، ويذكر الإسلام مقروناً بالعفة والتقوى ، وينصح للخليفة بأن لا يقبل طاعة قيس لأنهم غير مخلصين في إسلامهم من ذلك قوله [١] :

ولقد حلفت برب موسى جاهداً والبيت ذي الحرمات والأستارِ

وقوله [٢] :

إني حلفتُ برب الراقصات وما أضحى بمكة من حجبٍ وأستارِ
وبالهدي إذا احمرت مذارعها في يوم نسكٍ وتشريقٍ وتنحار
وما يزمزم من مُنْمَطٍ محلّقةٍ وما يثرب من عونٍ وأبكار

وقوله [٣] :

وقد حلفت يميناً غير كاذبةٍ بالله رب ستور البيت ذي الحجبِ
وكل موفٍ بنذرٍ كان يحمله مضرَّجٍ بدماء البدن مختضب

---

(١) ديوان الأخطل ص ٧٨ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١١٩ .
(٣) ديوان الأخطل ص ١٨٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقوله [١] :

كأن المشرفية في ذراه ونيران الحجيج لها سعيرُ
حلفت بمن تساق لها الهدايا ومن حلت بكعبته النذور

وقوله [٢] :

لقد حلفت بمن أسرى الحجيج له والناذرين دماء البُدْن في الحرمِ

وقوله [٣] :

يبطرن ذا الشيب والإسلام همتَهُ ويستقيد لهن الأهيف الرَّوَقُ

وقوله [٤] :

فإن تك قيسٌ يا بن مروان بايعتْ فقد وهلَتْ قيسٌ إليك من العذرِ
على غير إسلامٍ ولا عن بصيرةٍ ولكنهم سيقوا إليك على صُغْرِ
ولما تبينا ضلالة مُصْعَبٍ فتحنا لأهل الشام باباً من النصر

وقد يقتبس من آي القرآن من ذلك قوله [٥] :

( فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم ) كأنهم من بقايا أمةٍ ذهبوا

والآية ( فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ) في سورة الأحقاف .

* * *

(١) ديوان الأخطل ص ٢٠٢ و ص ٢٠٤ .
(٢) ديوان الأخطل ص ٢٦٤ .
(٣) ديوان الأخطل ص ٢٦٠ .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٣٣ .
(٥) ديوان الأخطل ص ٣٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

## فنون شعره

أحسن الأخطل في المدح ووصف الخمر والنساء ووصف الثيران والحمر الوحشية ؛ فلقد قيل : إن الأخطل أمدح العرب ، وسُئل جرير عنه فقال : كان أشدنا اجتزاءً بالقليل وأنعتنا للحمر والخمر .

كان هوى الأخطل السياسي مع بني أمية يرى أنهم أحق قريش بالخلافة وأجدر العرب بالملك ، واتفق أن قبيلة قيس التي حاربت بني أمية أغارت على تغلب قبيلة الأخطل فكان من الطبيعي أن يكون الأخطل مع بني أمية بحكم مصلحة قبيلته ، يشيد بمدحهم ويحرضهم على أعدائهم ويرى أن نصرهم نصر لقبيلته ، كما أنه ينكر على كل من خرج عليهم كعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب ، فلا عجب إذا جوَّد في مدحهم للأسباب التي مرَّت ، ولأنه لقي من إحسانهم ما لا يمكن أن يلقاه من غيرهم .

كان الأخطل يمدح بني أمية بالشرف والكرم والحزم والقوة وشدة البطش في الحرب وسعة الحلم والعفو عند المقدرة ، وأن لهم حقاً في الخلافة أخذوه وقاتلوا دونه وحافظوا عليه بسيوفهم ، مشيراً إلى أيامهم الكثيرة ووقائعهم العديدة في سبيل ذلك ، مدلاً بما لقبيلته من البلاء الحسن في نصرتهم قال[1] :

وقد نُصِرتَ أمير المؤمنين بنا ... لما أتاك يبطن الغوطة الخبرُ

أضف الى ذلك الجود العميم وكثرة العطايا وإطعام الطعام وما إلى ذلك من الصفات التي اعتاد أهل البادية أن يمدحوا بها .

ولعل الأخطل لم يعتن بشيء من شعره كعنايته بهذا الباب ، فلقد روي عنه أنه قال لعبد الملك : أقمت في مدحتك « خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا[2] »

---

(١) ديوان الأخطل ص ١٠٥ .
(٢) ديوان الأخطل ص ٩٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

سنة . وشعره في المدح شديد الأسر قليل السقط حسن الديباجة شريف المعاني واضحها مهذب منقح من ذلك قوله [١] :

فالله لم يرض عن آل الزبير ولا ... عن قيس عَيْلان حيًّا طالَ ماخَرَبُوا
يعاظمون أبا العاصي وهم نفرٌ ... في هامةٍ من قريش دونها شَذَبُ [٢]
بيضٌ مصاليتُ أبناء الملوك فلن ... يدرك ما قدَّموا عُجْمٌ ولا عرب
إن يحلُموا عنك فالأحلامُ شيمتهم ... والموتُ ساعةَ يحمى منهمُ الغضب
كأنهم عند ذاكم ليس بينهمُ ... وبين من حاربوا قربى ولا نسب
كانوا مواليَ حقٍّ يطلبون به ... فأدركوه وما مَلُّوا ولا لغبوا
إن بك للحق أسبابٌ يُمَدُّ بها ... ففي أكفهم الأرسان والسبب
هُمُ سعوا لابن عفّانَ الإمامِ وهم ... بعد الشماس مروها ثُمَّتَ احتلبوا
حربًا أصاب بني العوّام جانبها [٣] ... بعداً لمن أكلته النارُ والحطب

وقوله [٤] :

نفسي فداء أمير المؤمنين إذا ... أبدى النواجذَ يومًا عارمٌ ذَكَرُ
مفترشٌ كافتراش الليث كلكلُهُ ... لوقعةٍ كائنٍ فيها له جَزَر
في نبعةٍ من قريشٍ يعصبون بها ... ما إن يوازَى بأعلى نبتها الشجر
حُشْدٌ على الحق عيَّافو الخنا أُنُفٌ ... إذا أُلِمَّتْ بهم مكروهةٌ صبروا
شُمْسُ العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلامًا اذا قَدَروا
لا يستقل ذوو الأضغان حربهم ... ولا يُتَبيَّنُ في عيدانهم خَوَرُ

(١) ديوان الأخطل ص ٣٨ .
(٢) الشذب : الشوك والقشر .
(٣) كذا في الأصل ولعل الصواب « جاحها » والجاحم : الجمر الشديد الاشتعال والجاحم من الحرب : معظمها وشدة القتل في معركتها يقال اصطلى فلان بجاحم الحرب . . . .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٠٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هُمُ الذين يباروت الرياح إذا ... قلَّ الطعامُ على العافين أو قَتَروا
بني أميـة نُعماكم مجللةٌ ... تمت فلا منةٌ فيها ولا كَدَرُ
بني أميـة قد ناضلتُ دونكمُ ... أبناءَ قومٍ هُمُ آوَوْا وهم نصروا
أخمت عنكم بني النجار قد علمتْ ... عُليا مَعَدٍّ وكانوا طالما هدروا
حتى استكانوا وهم مني على مضضٍ ... والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبَرُ
بني أميـة إني ناصحٌ لكمُ ... فـلا يبيتنَّ فيكم آمناً زُفَر
إن الضغينة تلقاها وإن قدمت ... كالعُرِّ يكمن حيناً ثم ينتشر

وقوله (١) :

المنعمون بنو حرب وقد حَدَقتْ ... بي المنيةُ واستبطأتُ أنصاري
قومٌ إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... عن النساء ولو باتت بأطهار

وقوله (٢) :

ونفسي تمنيـني العراقَ وأهله ... وبِشْرٌ (٣) هواها منهم وحميمُها
أبوك أبو العاصي عليكم تعطفتْ ... قريشٌ لكم عرنينها وصميمها
أبى أن يكون التاج إلاَّ عليكمُ ... لصيدِ أبي العاصي الشديد شكيمها
بكم أدرك الله البرية بعدما ... سعى لِصُّها فيها وهبَّ غَشُومها

وقوله (٤) :

لا يُسمع الجهلُ يجري في نَدِيِّهم ... ولا أُميةُ في أخلاقهـا الفَنَدُ
تمتْ جدودُهمُ والله فَضَّلهم ... وجَدُّ قومٍ سواهم خاملٌ نَكِدُ
هُمُ الذين أجاب اللهُ دعوتهم ... لما تلاقت نواصي الخيل فاجتلدوا

(١) ديوان الأخطل ص ١١٩ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٢٢ .
(٣) هو بشر بن مروان ولاه أخوه عبد الملك إمرة العراقين .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٧٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ليست تنال أكفُّ الناسِ بسطتَهم ... وليس ينقضُ مكرُ الناس ما عقدوا
قومٌ اذا أنعموا كانت فواضلهم ... سيبًا من الله لا مَنٌّ ولا حسد

* * *

أما وصفه الخمر فجيد بالغ ، سبق به جميع من تقدمه من الشعراء كالأعشى وأبي محجن الثقفي ، وخلا له الجو في عصره لأن الشعراء الإسلاميين كالفرزدق وجرير وكثيِّر وذي الرمة لم يصفوا الخمر تحرجًا وتأثمًا ، أما هو فقد كان مدمنًا لا يتحرج من تعاطيها ووصفها لأنه نصراني بل كان يستعين بها على قرض الشعر وإنشاده وأصبح وصفه لها أعظم خصائصه التي امتاز بها .

يصف الأخطل الخمر بدقة وبراعة واستقصاء ، فيصور بريقها وتوهجها في الكاس ، وما يطفو على وجهها من الحبب ، ويسمعك هديرها وما يفور من رشاشها ، ويصف رائحتها وطعمها ودبيبها في الأعضاء وما تبعثه في الشارب من النشوة والأريحية . ويحلو له التحدث عنها والتغني بها فيسلسلها منذ كانت عناقيد في الكرم على شاطئ الفرات ، وكيف تعهدها الأكرة بالسقي إلى أن قطفت وعصرت وعتقت في دنانها وطال عليها الأمد ونسج عليها العنكبوت وتغالى بها التجار وتنافس بها المتنافسون فحملت إلى الأقطار النائية . ويتناول بالوصف أيضًا زقاقها ودنانها وزجاجاتها وكؤوسها ويتفنن في تصوير مجالسها وشَرِبها وما فيها من قينةٍ وساقٍ وشارب ملتخ ، ويعجبه بخاصة وصف السكارى والمعربدين في فتور أجفانهم ولجلجة ألسنتهم وتخاذل أعضائهم وإسرافهم على أنفسهم في معاقرة الخمرة . ولقد لهج الأخطل بالخمر وما يتصل بها فذكرها في مناسبات شتى في كثير من قصائده فتارةً يفتتح بها ، وأخرى يثب إليها وثبًا ، وطورًا يذكر ما اعتراه من الذهول حين فارق أحبابه فيشبه نفسه بالشارب الثمل فيجد مخرجًا للإفاضة بنعوتها ، وحينًا يفتخر بمعاطاتها مع ندمائه وأصحابه ؛ كل ذلك ببراعة فائقة وأسلوب أخّاذ وتخيل جميل وتشبيه بديع وطبع مؤات ولعل إحسانه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في هذا الباب يفوق إحسانه في جميع الأبواب التي قال الشعر فيها ، والشواهد على ذلك كثيرة منها قوله [١] :

صريعُ مدامٍ يرفع الشَّرْبُ رأسَه ... ليحيا وقد ماتتْ عظامٌ ومَفْصِلُ
تهاديه أحياناً وحيناً تجره ... وما كاد إلاَّ بالحُشاشة يعقلُ
إذا رفعوا عضواً تحامل صدره ... وآخر مما نال منها مخبَّلُ
وجاءوا ببيسانيةٍ هي بعدما ... يُعَلُّ بها الساقي ألذ وأسهلُ
تمر بها الأيدي سنيحاً وبارحاً ... وتوضع باللهم حَيٌّ وتُحْمَلُ
وتوقف أحياناً فيفصل بيننا ... غناءُ مُغَنٍّ أو شواءٌ مرعبل
فلذَّتْ لمرتاحٍ وطابتْ لشاربٍ ... وراجعني منها مِراحٌ وأخْيَلُ
فما لبثتنا نشوةٌ لحقتْ بنا ... توابعها مما نُعَلُّ ونُنْهَلُ
تدبُّ دبيباً في العظام كأنه ... دبيب نمالٍ في نقاً يتهيَّل
فقلت اقتلوها عنكمُ بمزاجها ... فأطيبُ بها مقتولةً حين تُقْتَلُ
ربَتْ وربا في حَجْرها ابن مدينةٍ ... يظل على مسحانه يتركَّل
إذا خاف من نجمٍ عليها ظلامةً ... أدبَّ إليها جدولاً بسلسل

وقوله [٢] :

إذا ما نديمي علَّني ثم علَّني ... ثلاث زجاجاتٍ لهن هديرُ
جعلتُ أجر الذيل زهواً كأنني ... عليك أمير المؤمنين أمير

وقوله [٣] :

وكأسٍ مثل عين الديك صرفٍ ... تنسي الشاربين لها العقولا

(١) ديوان الأخطل ص ٢ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٥٤ .
(٣) ديوان الأخطل ص ٣٧١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إذا شرب الفتى منهـا ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشيةً لا شك فيهـا وأرخى من مآزره الفضولا

وقوله [١] :

ترى الزجاج ولم يُطْمَث يطيف به كأنه من دم الأجواف مختضبُ
حتى اذا افتضّ ماء المزن عذرتها راح الزجاجُ وفي ألوانه صَبَبُ
تنزو إذا شجّهـا بالماء مازجُها نَزْوَ الجنادبِ في رمضاء تلتهب
راحوا وهم يحسبون الأرض في فلكٍ إن صرّعوا وقتَ الراحاتُ والركب

* * *

ومما جوّد به الأخطل وصف الثيران والحمر الوحشية فانه يصورها صورةً واضحةً متحركةً في أشكالها وألوانها ومسارحها ومراتعها ، ويصف صيدها وصفاً دقيقاً فيريك معركة حاميـة بينها وبين كلاب الصيد الضاربة التي تطاردها ، وكيف يهيج الثور فيكر عليها مستبسلاً فينال منها بقرنيه ما ينال الفارس برمحه من خصمه ، الى ما هنالك من المشاهد المتتابعه في مثل تلك الوقائع . ولهذه الصورة أثر عميق في مخيلة الأخطل فانه كررها غير مرة في شعره ، وهي تشبه كثيراً أو هي مأخوذة من الصورة التي رسمها النابغة الذبياني لثور الوحش في قصيدته الرائية التي أولها :

عوجوا فحيوا لِنُعْمٍ دمنةَ الدارِ ماذا تحيون من نؤيٍ وأحجارِ

والأخطل يترسم خطى النابغة في كثير من مناحي شعره . وإكثار الأخطل من وصف الوحش أثر عميق من آثار البادية في نفسه ، ولغته في هذا الباب أجزل ، وأسلوبه بدوي ، وقوافيه مكينة رصينة . من ذلك قوله [٢] :

(١) ديوان الأخطل ص ٣٧٨ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١١٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

... فبات في جنب أرطاةٍ تُكَفِّئُهُ ... ريحٌ شآميةٌ هبَّتْ بأمطارِ
يجول ليلته والعَيْنُ[1] تضربه ... منها بغيثٍ أجشِّ الرعد نَيَّارِ[2]
إذا أراد بها التغميض أرقه ... سيلٌ يدبُّ بهدم الترب موَّارِ
كأنه إذ أضاء البرقُ بهجتَهُ ... في أصفهانيةٍ[3] أو مصطلي نارِ
أما السَّراةُ فمن ديباجةٍ لَهِقٍ[4] ... وبالقوائم مثلُ الوشم بالقارِ
حتى إذا انجاب عنه الليلُ وانكشفتْ ... سماؤه عن أديمٍ مُصْحِرٍ عارِ
آنسن[5] صوتَ قنيصٍ إذ أحسَّ بهم ... كالجنِّ يهفون من جَرْمٍ وأنمارِ
فانصاع كالكوكب الدري مَيْعَتُهُ ... غضبانَ يخلط من مَعْجٍ وإحضارِ
فأرسلوهن يُذرين التراب كما ... يُذْري سنابكُ قطنٍ ندفُ أوتارِ
حتى إذا قلت نالته سوابقها ... وأرهقته بأنيابٍ وأظفارِ
أنحى إليهن عيناً غير غافلةٍ ... وطعنَ محتقرِ الأقران كرَّارِ
فعفَّر الضارياتِ اللاحقاتِ به ... عفر الغريب قداحاً بين أيسارِ

وكرر الأخطل هذه الصورة في عدة قصائد من شعره تجدها في ديوان الأخطل ص ١٣٨ و ص ١٦٩ و ص ٢٣٠ و ص ٢٦١ وكلها مأخوذة من الصورة التي رسمها النابغة الذبياني في قصيدته الرائية التي سبقت الإشارة اليها .

أما البادية فإن روحها شائعة في جميع شعره ومع ذلك فقد خصها بالوصف في كثير من قصائده ولا عجب إذا جوَّد فانه ابنها ، ومن شعره في وصف القطا في البادية قوله[6] :

(١) العين : السحاب .
(٢) النيّار : الشديد الانصباب .
(٣) أي حلة أصفهانية .
(٤) أي شديد البياض .
(٥) الضمير من آنسن للكلاب . ومن أحس للثور . وقوله بهم : أي الصيادين من قبيلتي جرم وأنمار .
(٦) ديوان الأخطل ص ٢٤٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

... على آجنٍ أبقتْ له الريحُ دمنةً وحوضاً كأُدحيِّ النعامةِ أثلما
إذا صدرتْ عنه حمامٌ تركنه لِوِرْدٍ قطاً يسقي فُرادَى وتوأما
تراها إذا راحتْ رِواءً كأنها مُعَلَّقةٌ عند الحناجر حَنْتَما[1]
تَأَوَّبُ زُغْباً بالفلاة تركنها بأغبر مجهولِ المخارم أقتما
إذا نبهتهن الروافدُ بالقِرى سقين مجاجاتٍ هوامد جُثَّما
ينبهن قيظيَّ الفراخ كأنما ينبهن مغموراً من النوم أعجما
ثنين عليه الريش حتى تلاحقت وصار شَماغاً قيظها[2] قد تحطَّما
فطارتْ شِلالا وابذَعَرَّتْ كأنها عصابةُ سَبْيٍ شَعَّ[3] أن يتقسما

وتناول بالوصف السفن التي كان يراها بالفرات فقال[4] :

ففارقن الخليط على سفينٍ يشقُّ بهن أمواجاً صعابا
ترى الملاَّح محتجزاً بليفٍ يؤُمُّ بهن آجاماً وغابا
إذا التُّبَّان قلَّص عن مشيحٍ صدفن ولم يردن له عتابا
يعجُّ الماءُ تحت مسخَّراتٍ يصكُّ القارَ والخشبَ الصلابا
يعمن على كلاكلهن فيه ولو يُزجى إليه الفيلُ هابا
وإما اضطرهن إلى مضيقٍ وموج الماء يطَّرد الحبابا
تَتَابُعَ صرمةِ الوَحْدي تأوي لأُولاها إذا الراعي أهابا
دَجَنَّ بحيث تنسغ[5] المطايا فلا بَقًّا يخفن ولا ذبابا
إذا ألقوا مراسيهن حلوا دبيبَ السبي يبتدر النِّقابا[6]

* * *

(١) الحنتم : الجرار الحضر .
(٢) يريد « قيضها » والقيض قشر البيض .
(٣) طارت شِلالاً : أي متفرقة . وابذعرت : أسرعت في تفرقها . وشعّ : أي تفرق هارباً .
(٤) ديوان الأخطل ص ٥٢ .
(٥) تنسغ : تتباعد .
(٦) النِّقاب : الطريق في الغلظ .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وللأخطل في الهجاء قدم راسخة شبّ عليه واكتهل وشاب وكان من أول ما قال من الشعر وهو صبي إذ هجا كعب بن جعيل شاعر تغلب فقال :

سُمّيتَ كعباً بشر العظام وكان أبوك يسمى الجُعَلْ

وإنّ محلك من وائل محل القراد من أست الجمل

وبالهجاء نال الحظوة عند يزيد بن معاوية ، إذ هجا له الأنصار ، ثم عند خلفاء بني أمية بهجائه خصومهم . وهو أحد الشعراء الذين طالت ألسنتهم وجعلوا الهجاء من أهم أبواب الشعر وأمضى سلاح يتخذه الشاعر في كل أغراضه ؛ ولقد لج الهجاء بينه وبين جرير زمناً طويلاً ، وكان من قادة جيش الشعراء الجرار الذين هاجموا جريراً بهجائهم فظهر عليهم جرير وانهزموا أمامه ولم يثبت له منهم إلا الفرزدق والأخطل ولم يكف لسانهما عنه إلا الموت . وسبب تهاجي جرير والأخطل أن الأخطل سمع بالضجة التي كانت قائمة حول الفرزدق وجرير وتهاجيهما واتفاق الناس على تقديمها واختلافهم في أيهما أشعر وروايتهم لنقائضهما ، فقال لابنه مالك وهو أكبر ولده انحدر الى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما ، فانحدر مالك حتى لقيهما وسمع منهما ثم أتى أباه ، فقال له كيف وجدتهما ؟ قال وجدت جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر . فقال الأخطل : الذي يغرف من بحر أشعرهما ، وقال يفضل جريراً على الفرزدق [1] :

إني قضيت قضاءً غير ذي جنفٍ لما سمعت ولما جاءني الخبرُ

أنّ الفرزدق قد شالت نعامته وعضّه حيةٌ من قومه ذكر

فلما قدم الأخطل على بشر بن مروان في الكوفة بعث إليه قوم الفرزدق بهدايا وقالوا له : لا تعن على شاعرنا ، واهج هذا الكلب الذي يهجو بني دارم ،

(١) ديوان الأخطل ص ٣٤٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فإنك قد قضيت على صاحبنا ، فقل أبياتاً واقض لصاحبنا عليه فقال الأخطل قصيدة أولها [١] :

أجرير إنك والذي تسمو له كأسيفةٍ نَفَرَتْ بجدج حَصَانِ

وقال جرير يرد حكومة الأخطل في قصيدة طويلة أولها :

لمن الديار ببرقة الريحانِ إذ لا نبيع زماننا بزمانِ

وهي طويلة يقول فيها :

ياذا الغباوة إن بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومة النشوانِ

ثم استطار بينهما الهجاء :

وروى صاحب الأغاني « أن رجلاً من بني شيبان جاء الى الأخطل فقال له : إنا وإن كنا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتصال الحرب والعداوة تجمعنا ربيعة ، وإن لك عندي نصحاً ؛ فقال هاته فما كذبت ؛ فقال إنك قد هجوت جريراً ودخلت بينه وبين الفرزدق وأنت غني عن ذلك ، ولا سيما أنه يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ، ويسب ربيعة سباً لا تقدر على سب مضر بمثله ، والملك فيهم والنبوة قبله ، فلو شئت أمسكت عن مشارته ومهارته . فقال صدقتَ في نصحك ، وعرفتُ مرادك ، وصلتك رحم ، فو الصليب والقربان لا تخلصن الى كليب خاصةً دون مضر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره ، ثم اعلم ان العالم بالشعر لا يبالي وحق الصليب إذا مرَّ به البيت العائر السائر الجيد أمسلم قاله أم نصراني » .

وهكذا كان فقد تخلص إلى كليب دون أن يمس مضر فاجتمع من تهاجيهما نقائض طبعت في ديوان على حدة .

وهجاء الأخطل على قلة إقذاعه وضيق مضطربه مرٌّ لاذع ، هجا قيساً وقيس

(١) ديوان الأخطل ص ٢٧٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من مضر ومن مضر قريش وفيهم النبوة والخلافة فتصرف تصرف حاذق لبق وبلغ ما أراد ، وهجا جريراً وانحاز إلى الفرزدق ، وجرير ابن عم الفرزدق كلاهما تميمي من مضر . وكان جرير يستبيح من هتك حرمات الأخطل ما لا يستبيحه الأخطل في الرد عليه ، ومع ذلك فقد أحسن التصرف وثبت ولم يتقهقر . وطريقته في الهجاء أن يقذف المهجو وينال منه ، ويذكر مخازي قبيلته ويرميها باللؤم والجبن والشح وسقوط المروءة والدناءة ، ويعيّرها الأيام التي كانت عليها ، وقد ينال من نساء القبيلة فيجعلهن قبيحات قذرات غير مصونات ، ويتخذ لذلك صوراً فيها حذق وفن ، ويستعين بالتهكم والسخرية ، ويختلق المعايب والمساوئ والنقائص والمثالب ، وتراه إلى جنب ذلك يغلو بالفخر بقبيلته ، فينوه ببأسها ويشيد بفضائلها وينسب إليها كل مكرمة ، ويوازن بينها وبين قبيلة المهجو — والميزان بيده — فترجح الأولى وتشيل الثانية ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله[1] :

أما كليب بن يربوعٍ فليس لهم ... عند التفارط[2] إيرادٌ ولا صَدَرُ
مُخَلَّفون ويقضي الناسُ أمرهمُ ... وهم بغيبٍ وفي عمياءَ ما شعروا
بئس الصحاةُ وبئس الشَّرْبُ شَرْبُهمُ ... إذا جرى فيهمُ المُزّاءُ والسُّكَرُ
قومٌ أنابت إليهم كل مخزيةٍ ... وكل فاحشةٍ سُبَّت بها مُضَرُ
الآكلون خبيثَ الزاد وحدهمُ ... والسائلون بظهر الغيب ما الخبر
ثم الإيابُ إلى صوءٍ مدنَّسةٍ ... ما تستحم إذا ما احتكت النُّقَرُ
وأقسم المجدُ حقًّا لا يحالفهم ... حتى يحالف بطنَ الراحة الشعر

(١) ديوان الأخطل ص ١٠٩ .
(٢) التفارط : التقدم في طلب الماء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقوله [١] :

ما زال فينا رباطُ الخيل مُلْتَمَةً ... وفي كليبٍ رباط الذل والعارِ
النازلين بدار الذل إنْ نزلوا ... وتستبيح كليبٌ مَحْرَمَ الجار
والظاعنين على أهواء نسوتهم ... وما لهم من قديمٍ غير أعيار [٢]
قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهُمُ ... قالوا لأُمهم بولي على النار
لا يثأرون بقتلاهم إذا قُتِلوا ... ولا يكرُّون يوماً عند إحجار [٣]
ولا يزالون شتّى في بيوتهمِ ... يسمون من بين ملهوفٍ وفرّار

ومثل هذا الهجاء تجده في ص ٥٠ و ٨٩ و ٢٧٣ و ٢٧٥ من ديوانه ، وفي بعضه ينتصر للفرزدق فيمدح قبيلته مغايظةً لجرير .

ومما يجب التنبيه إليه أن الأخطل من أقل الشعراء الهجائين إقذاعاً في العصر الأموي حتى قال هو عن نفسه : « ما هجوتُ أحداً قط بما تستحيي العذراء أن تنشده أباها » وقال عمر بن شبه : « كان الأخطل أخبثهم هجاءً في عفاف عن الفحش » فوقر في النفوس أن الأخطل لا يقذع ولا يفحش في هجائه ، ولكن الواقع أنه أقل إقذاعاً وإفحاشاً من غيره ، ومن هجائه الذي تستحيي العذراء وغير العذراء أن تنشده قوله [٤] :

فلا تدخلْ بيوتَ بني كليبٍ ... ولا تقربْ لهم أبداً رِحالا
ترى منها لوامعَ مُبرِقاتٍ ... يكدن (ينلن) [٥] بالحدق الرجالا
قصيرات الخُطى عن كل خيرٍ ... الى السوآت مُسمعةً رِعالا

(١) ديوان الأخطل ص ٢٢٤ .
(٢) الأعيار : جمع عار .
(٣) الإحجار : الإلجاء والاضطرار .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٦٥ .
(٥) حذفنا شكلة الكاف من هذه الكلمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقوله [١] :

خنافس أدلجتْ لمبيت سوءٍ ورثن فراش زانيةٍ وزانِ
وما أمٌّ ربوت على بديها بطاهرة الثياب ولا حصانِ
كأن عجانها لحيا جزورٍ تحسر عنها وضر الجِران

وقوله [٢] :

وما تركتْ أسيافنا حين جُرِّدتْ لأعدائنا قيسِ بن عَيْلانَ من عذرِ
وقد عركتْ بابنيْ دُخانٍ فأصبحا إذا ما احزألاَّ [٣] مثل باقيةِ البَظْرِ

وقوله يهجو امرأة من قومه هجته اسمها الدلماء [٤] :

ألا أبلغ أبا الدلماء عني بأن سنان شاعركم قصيرُ
فإن يَطعنْ فليس بذي غَناءٍ وإن يُطعن فمطعنه يسير
متى ما ألقه ومعي سلاحي يخرُّ على قفاه لا يحير

وقوله [٥] :

هجاني المنتفان أبنا جُعَيْلٍ وأيُّ الناس بقتله الهجاءُ
ولدتم بعد إخوتكم من أستٍ فهلاَّ جئتمُ من حيث جاءوا

وقال له كعب بن جعيل [٦] :

« ويلٌ لهذا الوجه غب الحمه »

فقال الأخطل :

« فنال [٧] كعب بن جعيلٍ أمه »

---

(١) ديوان الأخطل ص ١٩٢ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٣٢ .
(٣) احزألّ : ارتفع .
(٤) الأغاني ج ٧ ص ١٧١ .
(٥) الأغاني ج ٧ ص ١٦٢ .
(٦) خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٢٠ .
(٧) حذفت همزة الكاف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهناك أمثلة أخرى من هذا النوع تجدها في ديوانه ص ١٦٦ و ٢٨٦ و ٣١٩ .

* * *

وللاخطل غزل عذب يفتتح به كثيراً من قصائده ، وهو غزل ينم بجملته على نفس مرحة طروبة ميالة إلى اللهو والصبوة ، خبيرة بأخلاق الغواني وأهوائهن ؛ والأخطل في نسيبه وتشبيبه يكشف الغطاء عن كيد النساء ويحل طلاسم سحرهن ويدل على حبائلهن شأن من طالت صحبته لهن فقتلهن علماً كما قتلنه حباً ؛ وهو إلى ذلك مدل بشبابه وسيلته إليهن وشفيعه عندهن ، فإذا جلّله الشيب وأصبح يوقَّر ولا يُحَب — وهو القائل :

وإذا دعونك عمهنّ فإنه نسبٌ يزيدك عندهن خبالا —

استعاد ذكرياته العذبة الشجية بنغمة مملوءة تحسراً وتلهفاً . ومن جيد غزله قوله [1] :

ما إن رأيت كمكرهنّ إذا جرى فينا ولا كخبالهنّ خبالا
المهديات لمن هَوِينَ مسبّةً والمحسنات لمن قلين مقالا
إن الغواني إن رأينك طاوياً بُرْدَ الشبابِ طوين عنك وصالا
وإذا وعدنك نائلاً أخلفنه ووجدت عند عِداتهن مِطالا

وقوله [2] :

وإذا هممن بغدرةٍ أزمعنها خُلْفاً فليس وصالهن بدومُ
ورأين أني قد علتني كبرةٌ فالوجهُ فيه تَضَمُّرٌ وسُهُوم
وطوين ثوب بشاشةٍ أبلينه فلهن منك هواهسٌ وهموم
ولقد يَكُنَّ إليّ صُوراً مرّةً أيامَ لونُ غدائري يَحْمُومُ
ولقد أكون من الفتاة بمنزلٍ فأبيتُ لاحَرِجٌ ولا محروم

(١) ديوان الأخطل ص ٤٢ .
(٢) ديوان الأخطل ص ٨٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقوله [١] :

يُبرقن بالقوم حتى يحتبلنهمُ ورأيهنّ ضعيفٌ حين يُختَبَرُ
يا قاتل اللهُ وصلَ الغانياتِ إذا أيقن أنك ممن قد زها الكِبَرُ
أعرضن لما حنى قومي موتّرها وأبيضّ بعد سواد اللمة الشَّعَر
ما يرعوين إلى داعٍ لحاجته ولا لهن إلى ذي شيبةٍ وطر

وقوله [٢] :

وقد أكون عميد الشَّرب تُسمعنا نجاء تسمع في ترجيعها صحلا
من القيان هتوفٌ طالما ركدتْ بفتيةٍ يشتهون اللهو والغزلا
فبان مني شبابي بعد لذته كأنما كان ضيفاً نازلا رحلا
إذ لا أطاوع أمر العاذلاتِ ولا أبقي على المال إن ذو حاجةٍ سألا

وقوله [٣] :

وقد أحدّثُ أروي وهي خاليةٌ فلا الحديث شفانيها ولا النظرُ
ليست تداويك من داء تخامره أروى ولا أنت مما عنده تقِرُ
كأن فأرة مسك غار تاجرها حتى اشتراها بأغلى سعرها التّجِرُ
على مُقبّل أروى أو مشعشعةً يعلو الزجاجةَ منها كوكبٌ خَصِرُ

ومثل ذلك أبيات تجدها في ديوانه ص ١٤٦ وله قصيدة قسمها بين الغزل والفخر أولها :

طرق الكرى بالغانياب وربما طرق الكرى منهن بالأهوالِ

ذكر بها الطيف ووصف محاسن محبوبته وصفاً حسناً تجدها في الديوان ص ٣٢٢ .

* * *

(١) ديوان الأخطل ص ٩٩ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٤٢ .
(٣) ديوان الأخطل ص ٢٥٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والأخطل فخور بنفسه ولكنه بقبيلته أشد فخراً ، وله شعر في الفخر غير قليل ولا سيما في النقائض ، فقد كان يهجو جريراً ويرمي قبيلته بكل نقيصة ، ويدعي كل مكرمة لتغلب فيفتخر بكرم أصلها وشدة بأسها ، ويذكر أيامها ووقائعها في العرب وقد سبقت الإشارة الى ذلك . ومن فخره قوله [١] :

ونحن رفعنا عن سَلُولٍ رماحنا ... وعمداً رغبنا عن دماء بني نصرِ
ولما تبيَّنا ضلالةَ مُصْعَبٍ ... فتحنا لأهل الشام باباً من النصر
سمونا بعرنينٍ أشم وعارضٍ ... لتمنع ما بين العراق الى البِشْر
فأصبح ما بين العراق ومنبجٍ ... لتغلب تَردي بالردينية السمر

ولم يرو عنه في الرثاء إلا أربعة أبيات رثى بها يزيد بن معاوية . وله في الأدب والحكمة أبيات سارت مسير المثل لصحة معانيها وحسن سبكها ولكنها قليلة منها قوله [٢] :

والناس همهمُ الحياة وما أرى ... طول الحياة يزيد غير خَبالِ
وإذا افتقرتَ الى الذخائر لم تجد ... ذخراً يكون كصالح الأعمال

وقوله [٣] :

وإن امرأً لا ينتهي عن غَوايةٍ ... إذا ما اشتهتها نفسه لجهولُ

وقوله [٤] :

لن يرجع الشيبُ شباناً ولن يجدوا ... عِدْلَ الشباب لهم ما أورق العُودُ
إن الشباب لمحمودٌ بشاشته ... والشيبُ منصرَفٌ عنه ومصدود

(١) ديوان الأخطل ص ١٣٢ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٥٨ .
(٣) ديوان الأخطل ص ٢٥٨ .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٤٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقوله [١] :

حتى استكانوا وهم مني على مضضٍ والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبَرُ
إن الضغينة تلقاها وإن قدمتْ كالعرِّ يكمن حيناً ثم ينتشر

* * *

وبعد فالشائع المتعارف أن الأخطل مع الفرزدق وجرير طبقة واحدة ، وأنهم أشعر الإسلاميين ، ولكل واحد من هؤلاء جماعة يقدمونه ويتعصبون له . ولكن هناك جماعة من النقاد يرون أن الأخطل دون الفرزدق وجرير ولا يقرنونه بهما ، ويقولون إن قبيلة الأخطل رفعت من شأنه وأنزلته فوق منزلته لقلة الفحول من الشعراء فيها ، وقديماً عرفت تغلب بالإفراط بتمجيد شعرائها كما فعلت بعمرو ابن كلثوم قبل الأخطل فروت قصيدته التي أولها :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

وتناشدها وتغنى بها كبار التغلبيين وصغارهم حتى هجوا بذلك وقيل فيهم :

ألهى بني تغلبٍ عن كل مكرمةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يروونها أبداً منذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم

ويدل على قلة الفحول في تغلب قول الفرزدق بعد أن مات صديقه الأخطل [٢] :

أمسى لتغلب من تميم شاعرٌ يرمي القبائل بالقصيد الأثقلِ
إذ غاب كعب بني جُعَيْلٍ عنهمُ وتنمر الشعراء بعد الأخطل
يتباشرون بموته ووراءهم مني لهم قطع العذاب المرسل

---

(١) ديوان الأخطل ص ١٠٥ .
(٢) ديوان الفرزدق ٢ / ٧٠٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وروى المرزباني في الموشح ص ١٣٨ عن بشار بن برد أنه قال : « والله ما كان الأخطل مثل جرير والفرزدق ، ولكنهما كانا من مضر ، فكرهتْ ربيعة ألاَّ يكون منها مثلهما فتعصبتْ له ورفعتْ منه » .

وقال صاحب الأغاني [1] : « والفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ، فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر ، ولا له مثل مالهما من فنونه ، ولا تصرف كتصرفهما في سائره ، وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه حتى ألحقته بهما » .

خليل مردم بك

(١) الأغاني ١٩ / ٤٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net